هنا صيدلية

كانوا يقولون عن العراق سابقاً المثل الآتي (بين مقهى ومقهى مقهى) باعتبار المقاهي في عصر ما قبل الانترنيت وسيلة للهو ولعب الدومينو والطوالي ومشاهدة برامج التلفزيون الأسود والأبيض الذي لا يتوفر في أغلب البيوت المبنية من القصب والبردي والطين آنذاك .

هذا الكلام يقودني للحديث عن الطب والأطباء والعلاج والتداوي في الوقت الحاضر الذي نعيش فيه عجز الحكومة عن توفير الرواتب لعموم العاملين في أجهزتها العسكرية والمدنية ورواتب الرعاية الاجتماعية والمتقاعدين.

بعد إصابتي بالتهاب العصب السابع المعروف شعبياً (الشرجية) راجعت أحد الأطباء الاختصاص في مدينتي وأعطاني الدواء اللازم لذلك مع العلاج الطبيعي المستمر ,ولكن بعض الإخوة نصحني بمراجعة طبيب روحاني في منطقة سكنه يقوم بمعالجة المصابين بهذا الداء بقراءة القرآن والأدعية ,وحينما ذهبت لهذا المعالج الروحاني (السيد) نصحني بترك علاج الطبيب والاعتماد عليه بعد أخذ ثلاث جلسات متتالية.

وبعد أن تأخر الشفاء نصحتني زوجتي القيام بزيارة أضرحة الأولياء الصالحين في مدينتي التي تعج بالأطباء الجشعين والمتسولين ,فامتثلت لأمرها وقمنا بجولة ميدانية من الساعة العاشرة صباحا حتى الساعة السادسة ليلاً ,قمنا خلالها بزيارة (علي الزكي و عبد الله بن علي و سيد ماجد أبو سدره) وهؤلاء جميعاً من أحفاد الإمام الكاظم (ع) للتبرك بهم وأملاً أخر بالشفاء .

اليوم في مدينتي تحولت المجمعات التجارية إلى مراكز طبية تحتضن معظم أطباء المدينة المعروفين ,هذه المجمعات أصبحت متكاملة من حيث وجود المختبرات فيها وأجهزة الفحص بالسونار والأشعة والعلاج الطبيعي كما تضم صيدليات شبه اختصاصية البعض منها يعود إلى طبيب مختص في المجمع نفسه ,قد يكون مختص بالتجميل أو الأسنان أو الإمراض الباطنية ,والذي لفت نظري أن أحدهم كاتب على جدران المركز الطبي (هنا صيدلية) وكأنه يدعونا إلى وليمة عشاء مجانية , وليس بيع الدواء بأسعار خيالية تصل إلى ما لا يقل عن مائة ألف دينار لبعض الأمراض المزمنة أو الأمراض المفاجئة كما حدث معي .

لقد أصبحنا اليوم مدينين للكاتب والاقتصادي والفيلسوف الألماني كارل ماركس 1818-1883 باعتذار، ما تحدث عنه هو دور الدولة الذي لا يمكن الاستغناء عنه لتحقيق العدالة الاجتماعية، وحينما فشلت الشعوب في تطبيق تلك العدالة، جاءت عدالة وباء كورونا لتقول لنا إننا على خطأ ... عذراً ماركس، بينما تفرغت أنت للدفاع عن الضعفاء، الذين لم ينالوا فرصتهم للعيش بكرامة، قسونا نحن عليهم، واتهمك رجال دين لا دين لهم ولا مذهب ,وكُتاب لا كتاب لهم ,ومفكرين لا فكر لهم بالتقصير والكسل والكفر والإلحاد ,والعكس صحيح لان كل ما قلته في حينه فعلاً أنه أفيون الشعوب .

أما نحن سوف يشهد التاريخ لنا أننا عشنا أصعب فترة زمنية في حياتنا ,اجتمع فيها علينا لصوص الله والمؤتفكة وأصحاب الأيكة وقوم تبع وثمود وأصحاب الرق وعبدت الشيطان وقتلة المتظاهرين السلميين وسارقو قوت الشعب ,ومجادلة كتاب الله.

شاكر عبد موسى الساعدي

ميسان

مراجعة في وجهة نظر يابانية

ربما من الصعب علينا ان نكتشف ذلك وحدنا واننا علينا ان نستعين بالاخرين ليقولوا لنا مالانعرفه عن انفسنا ,نوبوأكي نوتةهارا ياباني تعلم العربية وصال وجال في الاقطار العربية وترجم قصص عربية لليابانية كتب كتابا عن العرب سماه العرب من وجهة نظر يابانية, العنوان مستفز ومثير كيف نبدو نحن لكوكب اليابان . الكتاب صدر عن منشورات الجمل في عام .2003فهو ليس كتاب جديد ولكن هذا الامر لاأظن له اهمية فنحن مازلنا على حالنا لم نتغير حتى يغير الياباني رأيه فينا ويقول لنا اشياءا جديدة.

نحن لسنا سعداء يقول نوتة هارا كلاما صحيحا ملاحظته دقيقة تبدو جلية في الوجوه العابسة المكفهرة المستعجلة الباحثة عن مصدر رزقها في وسط شوارع مزدحمة لكن كان وصفه اكثر دقة حين قال ان في صمتنا صرخة تخبر عن نفسها بوضوح وقوة. والحقيقة هي ان في داخلنا صرخة لاتستطيع ان تخرج او تعبر عن نفسها لان الخوف من المجهول يشلنا ويكبلنا. غياب العدالة الاجتماعية يؤدي حسب رأي نوته هارا الى الفوضى بعد ان تتعرض حقوق الناس للخطروهو مايحول الفرد العربي حسب توصيف نوبوأكي الى كائنا هشا ومؤقتا وساكنا بلافعالية. لفت انظار الكاتب وهو امر لايغفل على احد بالتأكيد انتشار القمع في الدول العربية فالممنوعات والمحظورات كثيرة ومتعددة ,حظر ثقافي على الكتب التي تتعرض للدين والجنس ومصادرة لحرية الرأي والفكر فبينما يقول الياباني حين لايستطيع ان يتكلم بحرية ان هواء الخريف تحت شفته يقول العربي ان تحت لسانه جمرة. مفهوم العائلة والعشيرة والقبيلة سائد في المجتمعات العربية المشغول بفكرة النمط الواحد على غرار الحاكم الواحد والقيمة الواحدة والدين الواحد وفي خضم هذا تضيع استقلالية الفرد وحقوقه فتغيب فكرة المواطن الواحد لتحل محلها الجماعة المتشابهه المطيعة للنظام فالفرد يميز نفسه باللقب كالكنية والعشيرة او بالثروة او بالمنصب او بالشهادة العالية وحين تغيب استقلالية الفرد وقيمته كأنسان يغيب عنه الوعي بالمسؤولية ولذلك يغيب عنه الحرص على الممتلكات العامة واتجاه افراد المجتمع الاخرين فمن منا على سبيل المثال يأبه لمصير السجناء السياسين الذين ضحوا بأنفسهم من اجل الشعب.

ان العربي يستنتج افكاره من خارجه بينما الياباني يستنتج افكاره من الوقائع الملموسة التي يحياها كل يوم ويضيف اليها حقائق جديده ولكن العربي يرجع الى ماضيه ليستعيد حقائق اكتشفها في الماضي.القمع يؤدي الى اهدار الثروة الوطنية وقد دفعت اليابان ثمن سياساتها الخاطئة حين سيطرالعسكر على البلاد واصبحت قوة استعمارية فتلقت ضربة نووية من امريكا ولكن الاخيرة اصبحت صديقة لليابان وهذا مابدا عسيرا على العرب فهمه ولكن اليابانيون لديهم الشجاعة للاعتراف بخطأهم في الحرب العالمية الثانية ولهذا السبب فالمشاعر الشخصية يجب تحييدها فاليابان استعمرت دولا اسيوية . القنبلة الذرية هي ثمن اخطاء الماضي واليوم اليابان اكثر الدول معارضية للسلاح النووي. فقد حولت اخطائها الى دروس والهزيمة الى نجاح. ماذا عنا سنظل نفكر في الانتقام وقد قيل ان البدوي ينتقم بعد اربعين سنة ولكنه يلوم نفسه لانه استعجل فنحن نحبس انفسنا في دائرة مغلقة من الانتقام دون ان نكرس يوما واحدا لنقد الذات فنحن ملائكة في بحر من الشياطين.

السلطة تشرع القانون وتطبقة على الشعب ورجالها في منجي من العقاب فيما اذا ارتكب احدهم مخالفة او جريمة فهم فوق القانون ولذلك يغيب مفهوم العدالة.

لكي يمنع اي شكل من اشكال الاستبداد وحتى لايتعلم الحاكم القمع فان فترة رئاسة الوزراء في اليابان لاتتجاوز السنتين والامبراطور لاصلاحيات سياسية له ولكن الحاكم العربي يبقى حاكما مدى الحياة بغض النظرعن منصبه سواء كان رئيس دولة او ملكا او اميرا.

كوكب العرب حافل بالتقاليد والتناقضات والصراع بين البداوة والحضارة وكوكب اليابان كوكب مجهول لنا لانعرف عنه غير التقنيات الحديثة والثورة الصناعية الملهمة ولكنه حافل ايظا بالعادات والتقاليد الراسخة ولكنه استطاع بوعي شعبه ومثابرتة من تجاوز محن والام كثيرة تغلب عليها بعناد واصرار ,اليابانيون نجحوا لانهم استطاعوا تجاوز احقادهم وتعلموا من اعدائهم واعترفوا بأخطائهم وهذا ماسهل عليهم العبور للمستقبل والتغلب بابداعهم على كل جيرانهم.

عمر الحمداني

بغداد

بيروت والذاكرة الملعونة

عبد الحسين شعبان

بيروت

المكان زمان سائل والزمان مكان متجمد

ابن عربي

-I-

حين سمعتُ خبر زيارة الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون لفيروز الكبيرة قبل لقائه المسؤولين، استعدت ما كتبه قبل عقد ونيّف من الزمان عن "شارل مالك الكبير ولبنان الصغير"، ففي زمن الفواجع الكبرى يلجأ الإنسان عادة إلى الرموز الفكرية والثقافية الجامعة للتخفيف من هول الصدمة وحجم المأساة، وهو ما حاول الرئيس الفرنسي استخدامه بذكاء شديد خلال زيارته الثانية بعد كارثة انفجار مرفأ بيروت في 4آب (أغسطس) 2020.

وبغض النظر عن طبيعة الزيارة السياسية وأهدافها، لكن ذهاب حفيد غورو إلى زيارة فيروز بتوجهه من المطار إلى منزلها مباشرة له أكثر من دلالة ، ففيروز تمثل بهالتها وكبريائها وشموخها وإبداعها وصوتها كل لبنان بتنوّعه وتعدديته وموزائيكه وألوانه وفسيفسائه، وهو ما نقصد به من تعظيم للجوامع واحترام للفوارق .

لقد عرف ماكرون كيف يحرّك مشاعر اللبنانيين، بل العرب أجمع الذين ظلّت عيونهم تتطلّع نحو بيروت الثقافة والصحافة والأدب والكتب والحرية والجمال ومقاهي المثقفين والمنفيين والمتمردين وجامعاتها وكنائسها وجوامعها، حيث التعايش والاجتماع الإنساني الحاضن للمواطنة والاختلاف، فضلاً عن جوار الأضداد أحياناً بين الديني والعلماني والمسلم والمسيحي بطوائفهم المختلفة في هارموني عجيب.

مرّتان خلال العقود الأربعة الماضية شعرت أن يداً غادرة تحاول العبث بذاكرتي البيروتية، تلك التي تكوّنت منذ ستينيات القرن الماضي.

الأولى- يوم وقع العدوان الإسرائيلي على لبنان في 4حزيران (يونيو) العام ?1982حين توغلت الدبابات الإسرائيلية لتحتل العاصمة بيروت ، ويومها كانت المدينة غارقة في حرب أهلية استمرت لنحو 15عاماً (1975-1989). شعرت وقتها أن جزءًا مني كان قد تحطّم بالحرب وانتزع جزءٌ آخر بالعدوان.

والثانية- يوم وقع انفجار مرفأ بيروت، الذي هزّ المدينة بالصميم فتخلخل ما تبقى منها، فبيروت موشحة بالحزن والهموم وترزح تحت أزمات لا حصر لها: الكهرباء والماء والبنزين والمازوت والنفايات والمصارف وأموال المودعين وانهيار سعر الليرة اللبنانية ووصول نحو 55%من المجتمع اللبناني إلى دون خط الفقر، وزاد الطين بلّة اجتياح وباء كورونا (كوفيد 19)ونقص الاستعدادات والتجهيزات والإمدادات الطبية.

حين تفكر ببيروت فمن الصعب عليك أن تفرّق بين البشر والشجر والحجر ، لأنها مشغولة بطريقة عجيبة فهي مدينة متداخلة ومتفاعلة ومتراكبة وخيوطها مترابطة ونسيجها يصعب فك أسراره، مثل جغرافيتها وتضاريسها وهويّاتها وظلالها وجنونها، إنها اليوم في لحظة مفارقة فإمّا اللون والرائحة والإيقاع والصوت وفيروز وإما الانكفاء والعزلة والقنوط والتآكل.

لكن الركود والخمول والخنوع ليسوا من صفات بيروت التي نعرفها والتي ما إن تكبو حتى تنهض تحت الرماد مثل طائر الفينيق لتحيل الحزن إلى فرح والكدر إلى بهجة والكآبة إلى أمل والظلمة إلى نور، فهي أم الشرائع التي علّمت البشرية أبجديات الحرف وفيها روح التاريخ وحدائق اللغة وعنفوان التمرد.

حين كرّمتني الحركة الثقافية في انطلياس في العام 2017وكعادتها الطلب من المكرّم منذ أربعة عقود أن يتحدث في حفل التكريم، وهو برعاية رئاسية، عن مشروعه الفكري أو منجزه الثقافي أو دوره الأكاديمي أو الاجتماعي أو مساهماته في الحياة السياسية والوظيفية أو عن كتبه ومؤلفاته ونشاطه، لكنني طلبت من الجهة المنظمة والأستاذين أنطوان سيف وعصام خليفة أن أتحدث عن ذاكرتي وأرخبيلات العشق البيروتية ، وهي جزء من ذاكرة جيل الستينات لمدينة الدلال والغنج والورد وشذا الربيع والياسمين والنور.

إذا كان لكل امرأة رائحتها ولكل بحر لونه ولكل قصيدة نكهتها ولكل مدينة عطرها فبيروت اختلطت فيها الرائحة واللون والنكهة والعطر في هارموني بحيث يمكنك أن تتنفسها وكم راودتني عن نفسي لأفضي بسرّها وسحرها، وأنا أسمع صوتها وأشم رائحة بحرها، الذي اغتسلت بمائه حوريات البحر.

- II -

لا أستطيعُ استعادةَ ذاكرتي الطّفلية المكتظّة بصور مختلفة ومتنوّعة دونَ أن تشعَّ في إحدى زواياها بيروتٌ بكل رمزيّتها وصباها، تلك التي شكّلت بين تقاسيمها أغاريدَ شرودي الملوّنة وروح تمرّدَي الأول، خصوصاً وأنّني ترعرعت في بيئة معاندة كانت جاهزةً ومتفاعلةً ومنفعلة باستشّراف الجديد واستقبالِ الحداثة والتّطلّع للتغيير.

هكذا بَدأتْ ترَتسمُ ملاَمحُ بيروت الجمال والمدى والتنوّع الثقافي والاجتماعي وكأنّني في فسيفسائيّة تختلطُ وصورة "النجف السعيد" أو ما يكنّى بـ "خدّ العذراء"، حيث يستلقي الشّعرُ متنفّساً المدينةَ المحافظةَ التي تآخت مع التمرّد، حتّى تفجّر "الفكرُ المنفتحُ في المجتمع المنغلق" على حدّ تعبير السيد مصطفى جمال الدّين.

كنّا نجدُ في بيروت الستينات كلَّ شيء: المقاهي والكُتُب والملابس والصديقات الجميلات وأغاني الحب والسينمات والمسارح والموسيقى... وكلّ ما له علاقة بالتمدّن والتعايش، حيث شارع الحمرا وساحة الشهداء "البرج" وساحة رياض الصلح وبناية العازارية والروشة وسوق الطويلة وسوق سُرسق وفندق اليلدزلار وفندق نابليون ومقاهي الدولشفيتا والويمبي والمودكا والهورس شو والإكسبرس وستراند والألدورادو والروضة ودبيبو ومسرح قصر البيكاديللي والتياترو الكبير وتياتر بيروت والمسرح الوطني "مسرح شوشو" وسينما روكسي ومتروبول والأمبير و الريفولي والراديو سيتي والأوديون وغيرها...

- III -

وإذا كان الإبحارُ في ما نصبو إليه ومضةً بارقةً سرعان ما تنتهي وقد يبقى شيءٌ من كلّها في ذهنك أو لا يبقى، حيث تكونُ اليقظةُ قدَ بدّدت طيفها الخاطف بعد أن تلاشى، لكنّك في حضرة بيروت تصحو مبتدئاً مع مخيّلة جديدة ممتدّة وأنتَ في انخطاف مَوجودٌ، لكأنَّ أنوثة "المدينة الإلهة"عادَت حلماً يستمرُّ، لطالما عاشَ معي وتغلغلَ في كياني وتنامى مع توجّدي، فقد سكنتني يقظةُ بيروتُ الهاربةُ إلى ليلي حتى قبلَ أن أسكنها، رغم أنّ صدمة الحرب الأهلية (1975-1989)كانت عميقة التأثير وموجعة في نفسي لكنّني بقيتُ على تواصل و بيروت المتّشحة بغيابات كأنّي أشاجيها وأنا: "أرحل عن شوارعها/ وأقولُ مع محمود درويش: ناري لا تموت/ شكراً لبيروت الضّباب/ شكراً لبيروت الخراب/بيروت خيمتنا الأخيرة...". وقد امتدّت روحي عبوراً إليها حتّى تدفّقت أسوار الدم جاهزةً بيننا حينما قتلوا "امرأة كانت تدعى الحرّيّة"عشيةَ الحرب الأهلية.

وأستطيع القول إنّني عشتُ المدينة بكلِّ جوارحي لستة عقود من الزمان، أي مذ عرفتُها في مَطلع السّتينات من القرن الماضي، وكنتُ أتردّدُ إليها باستمرار بما فيها فترة دراستي في أوروبا في مطلع السبعينات وحتى خلال الحرب الأهلية.

كنتُ أبحثُ في المدينة عن المختلف واللاّمألوف من الكتب و الصحف إلى المغاير واللّا تقليدي من الأفلام، فَأجدُ متعتي في هذا التنوّع المتجانس والاتّساق المتمايز، وفي التعدّدَ والوحدة وفي طريقة الحياة اللبنانية، وكان شَغفي الصّيفي في ستينات القرن الماضي وأنا أزورُ لبنان أن أجلس في مقهى "الشامات" في بحمدون لأبدأ قراءة الصحف اللبنانية الرائدة مثل: "النهار" وَ"النداء" و"الحياة" و"المحرّر" وغيرها، إضافة إلى عدد من المجلات ومن بينها تلك المثيرة للَجدل والاستفهام مثل مجلة "حوار" ومجلة "شعر" وغيرها.

وكلّما كنتُ أستعيدُ أجواءَ النقاش والسجال والحوار بخصوص النوافذ الثقافية والأدبية والفكرية والتوجهات اليمينية واليسارية، والماركسيةَ والناصرية، والغربية والشرقية يحضرُني ذاك الحوارُ الذي أثيرَ في أواسط العام 1954من القرن الماضي حول "مؤتمر بحمدون" الذي دعت إليه "جمعيةُ أصدقاء الشرق الأوسط" (الأمريكية) وكانت الدعوة قد وصلت الشيخ "محمّد حسين كاشف الغطاء" في العراق "النجف" من قبل كارلند إيفانز هوبنكز "نائب رئيس الجمعية" والهدف منه – كما تحدّد بطاقة الدعوة – دراسة القيم الروحية للديانتين الإسلامية والمسيحية وتحديد موقفهما من الأفكار المادّية الإلحادية، ولكن " كاشف الغطاء" كان قد اعتذر عن حضور المؤتمر، بل شكّك بنواياه حيثُ أرسلَ جواباً مطوّلاً بعنوان "المُثل العليا في الإسلام لا في بحمدون"، وكان اليسار العراقي هو من قام بترويج ذلك الخطاب الذي طُبعَ على شكل كرّاس لفضح أهداف المؤتمر الذي قيل إنّ جهاتٍ مخابراتية أمريكية تقف وراءه.

بيروت تطل على افق البحر

- IV -

وفي بيروت تعرّفتُ على الروائي غسّان كنفاني رئيس تحرير مجلة الهدف، وذلك ما قامت بتأمينه لي قيادةُ الحزب الشيوعي اللبناني، وكنتُ قد قرأتُ له بعضَ كتبه ودراسات له في الستينات، أتذكرُ منها: تعريفُه بشُعراء المقاومة، وخصوصاً محمود درويش، وسميح القاسم، وعن الأدب الصهيوني، إضافةً إلى روايته الشّهيرة "رجالٌ في الشمس"، وبادرَ بإهدائي روايتَه "أم سعد"، وهي من الكُتب التي أعتزُّ بها، وبقيَ معي في براغ، وحين عودتي حملتهُ في حقيبتي اليدوية، ولم أضعْه في حقائبي مع حاجياتي وكتبي التي شحنتُها إلى بغداد، وقد تمّت مصادرتُها لاحقاً مع مكتبتي وثلاث مخطوطات، كنتُ قد أعددْتُها للطبع، من قبل الأجهزة الأمنية العراقية. استقبلني غسّان كنفاني بابتسامة عريضة في مقرّ المجلة في كورنيش المزرعة على ما أتذكّر، وطلبَ من المصوّر تصويري لأرشيف المجلة، وخلال حديثي معه كان أحد الصحفيين يدوّنُ بعضَ ما أقوله. لا أتذكرُ إنْ كان قد نشر شيئاً بعد مقابلتي أو لم ينشر، لكنّه – على ما أذكر جيداً – كان يتمنّى أن تنصبَّ جهودُ الوطنيّين واليساريين لمواجهة العدوان الصهيوني والمخطّطاتَ الإمبريالية. ذكّرني الصّديق صلاح صلاح، حيث تستمرُّ صداقتُنا منذُ عقود من الزمان، أنّه سمع لأوّل مرّة عنّي مَن غسّان كنفاني، وحتى قبلَ أن نلتقي، إضافة إلى قيادات فلسطينية لاحقاً، حيث جاء اللّقاءُ الأوّل بيننا بعد ذلك بسنوات، لكننا كنّا نعرفُ بعضَنا قبل هذا التاريخ، وهو ما تناوله بشيء من التفصيل في كلمته عند تكريمي في بيروت العام 2006.

كمْ حزنتُ لفقدان ذاك المبدعِ اللاّمع وهو في ريعان شبابه وأوجِ عطائه، حيث كان قد استكمل أدواته الفنية ونضجت تجربتُه، حتّى ترصّدَ له جهاز المخابرات الإسرائيلية (الموساد) وقامت يدُ الغدر بتفجير سيارته في منطقة الحازمية في 8تموز (يوليو) العام 1972.

رحل ولم يتجاوز السادسة والثلاثين من العمر، وكانت تلك واحدةً من الصّدمات التي صُعقتُ بها، وما عاظَمَ ألمي هو مَحاولة اغتيال العقلِ الفلسطيني والمثقف الفلسطيني والإبداعِ الفلسطيني. وَالفلسطينيون لم يقدّموا مناضلين ومقاومين كبار فحسب، بل "مبدعين كبار" مثل غسّان كنفاني ومحمود درويش وإدوارد سعيد وإميل حبيبي وناجي العلي، وغيرهم.

- V -

لم أكن في ذلك الحين قد اطّلعت على فكر شارل مالك ودوره الرّيادي، خصوصاً في وضع "الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" عام 1948بالتّعاون مع البروفيسور الفرنسي "رينيه كاسان" وتشينغ الصيني الكونفوشيوسي والسيدة "إليانور روزفلت"، ولكنّني حين قرأت مقدّمته "العبقرية" في وقت لاحق تأكدت أنّ فلسفته كانت وراء الصياغة المُحْكمة لتلك "المصكوكة" الدولية، وبعدها كتبتُ عنه مقالةً بعنوان "شارل مالك الكبير ولبنان الصّغير" وحين حضرتُ الاحتفال الخمسيني لصدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان1998 وتجوّلت في قصر"شايو" في ساحة تروكاديرو (باريس)، شعرت أنّ روحَه تخيّمُ على أروقة المكانِ النابضِ بتفاصيله. وكنتُ قَد خصّصتُ خلالَ العقود الثلاثة الأخيرة أكثرَ من مبحث لي وأكثر من محاضرة وإضاءة عنه.

وكما يقول جبران: "لبنان يا أسمى المعالي لم يزلْ / لأُولي القرائحِ مصدرَ الإيحاء"

وطن الكَفاءات الّذي أنجب كباراً في الفكر والعلم والأدب والفنّ، من صاحب "النبي" وعواصف روحه الملتحقّة بالتمرّد والنهوض، إلى رَحلات أمينَ الريحانَي المتدفّقة في حبْره الحي، و"سبعون" ميخائيل نعيمة "الفيلسوف البليغ إلى أدب "مي زيادة" ورسائلها الشغوف، و"معضلة اللّغة" التي وضعت "الفيلسوف كمال يوسف الحاج" أمام معضلة القومية، وميشال شيحا المفكّر اللّبناني المتقدّم على عصره، وموسوعية البستاني وبلاغة اليازجي ومورد البعلبكي الأكبر... وكيف ننسى "حسن كامل الصبّاح" الذي حلم بحياكة ليلنا من خيوط الشمس ومايكل دبغي الذي نسج جروحات قلوبنا؟.. أمّا "سيّدة الجلالة" فكانت أنثى لبنان الغنوج حيث رياديّة غسان تويني وكامل مروة وسليم الّلوزي وميشال أبو جودة وطلال سلمان والقائمة مفتوحة ....ألا تكفي هذه الكوكبةُ التي أسّستْ مع الفكر الفلسفي التنويري المعاصر من موسى وهبة وناصيف نصار وغيرهم، وأسراباً محلّقة من الشعراء المُحدثين أمثال إلياس أبو شبكة والأخطل الصغير وخليل مطران وسعيد عقل وإلياس خوري وأنسي الحاج وجوزيف حرب وطلال حيدر وغيرهم، وعديد من الفقهاء القانونيين وعلماء اجتماع واقتصاد؟إنّها بيروت تخاطرني وأتماهاها بصوت فيروز الملائكي وتلاحين فكر الأخوين الرحباني الانسيابي الإصلاحي و"ثورة الفلاحين" وأغاريد "نصري شمس الدّين" لأن لبنان "راجع يتعمّر" كما خلّده زكي ناصيف، وتُسائل حنيني مواويل وديع الصافي:

"لبنان يا قطعة سما / اسمك على شفافي صلا"

- VI -

حين انتهت الحرب الأهلية وأُبرمَ اتّفاق الطائف تكرّرت زياراتي لبيروت وعندما قرّرتُ أن أترك لندن لم أفكرْ أن أستقرَّ في أي مدينة عربية غير بيروت، مع أنّ علاقتي بدمشق فيها الكثير من الحميمية مثلما هي علاقتي الوديّة مع القاهرة. وبغداد التي تسكنني لا زالت بعين العاصفة... إذاً هي بيروت ذاتُ الأوتار الخاصة، وحيثما يشعر المرء بالحريّة فذلك وطنه. وكما يقول الكاتب المسرحي اليوناني أريستوفان "الوطن هو حيث يكون المرء بخير" وبيروت دائماً تجعلني بخير.

إنها مكتوبةٌ بالماء، وياسمينُ كلِّ حبٍّ، هي التي أنجبت "عشتار" الإلَهة التي تعمّدت بأحشاء الموج، أمُّ الشرائع هي، وتوأم الزمن ما كتبه نَنوس اليوناني في القرن الخامس الميلادي.

قالت كلمتها بيروتُ، فكان الله فعل كمال... سمائيةُ البحار هاتيك معاصرةُ الأبد، امرأةٌ "كانت تدعى الحرّيّة"، حتّى "دفعت الجزية عن كلّ الكلمات"، يا ستّ الدّنيا يا بيروت/ يا حيث كتبنا الشّعر...

بيروت التي جُبلت بالمحن والمعاناة احتضنت اللاجئين والنازحين والطامحين وعشّاق الجمال، هاته أشكلَةُ مدينة بفعل أبجدية الخَلود تُحاكي ما بعد الوجود وتُحيي الزّمان، تُعمِّد الآلهةَ بتراتيل الحرّيّة

بيروت "إنّ الدّنيا بعدك ليست تكفينا...".

الآن عرفنا... أنّ جذورك ضاربة فينا...".

قال فيها الشاعر أحمد شوقي:

"لبنان والخلد اختراع الله لم /
يزدن بأحسن منهما ملكوتُه
هو ذروة في الحسن غيرُ مرومة /
وذرى البراعة والحجى بيروتُه"

" لن أنسى هذا الدفءَ مثل هذه الدقائق تتداخل في وجودنا كاللّحظات الأخيرة بانتظار أول موعد غرامي" حيث أنفاس الشاعر "موريس باريس" الشجية تحيكُ وشيَ الثقافة الفوّاح. وتقاسيم روح "الجواهري" تردّد:

لبنانِ يا خمري وطيبي / هلاّ لَممْتِ
حُطامَ كوبي
هلاّ عطفتِ لي الصبا / نشوانَ
يرفلُ بالذّنوبِ

إنها بيروتَ تلك الذاكرة الملعونة التي تستحقّ كل السّمو والإجلال والخشوع.

نُشرت في مجلة "أفق" مؤسسة الفكر العربي تحت عنوان:
بيروت التي تستحقّ كلّ السموّ والإجلال والخشوع
تشرين الأول (أكتوبر) 2020

☐ أكاديمي وأديب عراقي

مرحباً بتطوير مصفى البصرة ولكن من أين نبدأ؟

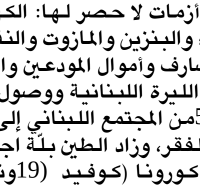

سعد الله الفتحي

لندن

ملخص

وقعت وزارة النفط مؤخرا عقدا مع شركة يابانية بقيمة 3. 8مليار دولار لتطوير مصفى البصرة بانشاء مجمع لتحويل زيت الوقود الفائض الى منتجات خفيفة كالغازولين وزيت الغاز وتقليل الحاجة للاستيراد. المشروع بطلقة 35الف برميل باليوم بالنسبة لوحدة التكسير FCC. وعلى اهمية المشروع وكونه نقلة نوعية معقدة في تكنولوجيا المصافي العراقية الا ان الكلفة وما اثير في اعلام الوزارة والشركة عن معالم المشروع تدعوا الى التأمل. التحليل ادناه يجد الكلفة المعقولة للمشروع لا تزيد عن 1. 4مليار دولار مقارنة بمشاريع تكرير منجزة في العراق وبالنظر الى مشاريع ذات طاقات عالية ومعقدة في الكويت والسعودية.

كنت قد توقفت منذ سنتين تقريبا عن الكتابة والتعليق بخصوص النفط وصناعة الغاز وخاصة ما يتعلق بالعراق حيث ان كتابات كل الخبراء العراقيين منذ الاحتلال ولحد الان ذهبت ادراج الرياح ولم يعيرها احد اي اهتمام. لكن بعض الأصدقاء سألوني رأيي في مسألة احالة مشروع تطوير مصفى البصرة بما في ذلك وحدة التكسير بالعامل المساعد (FCC). وكان السؤال بالدرجة الرئيسية ينصب حول كلفة المشروع التي ذكر مدير عام شركة مصافي الجنوب انها تخمينية تصل الى اربعة مليارات دولار وان مدة التنفيذ اربعة سنوات من بداية العام القادم كما ورد في بيان المكتب الاعلامي في وزارة النفط الذي ذكر ايضا ان المشروع سيخلق 7000فرصة عمل مباشرة و 70000فرصة خلال فترة الانشاء.

دون وجود تفاصيل في بيانات وزارة النفط عن هيكلة المشروع ووحداته الانتاجية والخدمية من الصعب ابداء رأي بالكلفة التي تبدوا عالية بالتأكيد وان مدة الانجاز طويلة ناهيك عن ان فرص العمل الدائمة والوقتية خارج كل السياقات والخبرة المتعارف عليها. وللعلم فان هذا المشروع مطروح ضمن القرض الياباني منذ 2004وليس من الواضح لماذا استمرت المناقشات حوله كل هذا الوقت وخاصة ان وزارة النفط اعتبرته مهما ويؤدي الى تقليل استيراداتها المكلفة من المنتجات الخفيفة التي يتطلبها سوق المنتجات النفطية في العراق. لكن شركة JGC نشرت بعض التفاصيل التي تتيح امكانية القاء مزيد من الملاحظات حول المشروع وكما يلي:

1. روجت وزارة النفط ان المشروع بطاقة 55الف برميل باليوم (أب/ي) وهذا خطأ حيث ان طاقة المشروع تقاس بطاقة وحدة التكسير البالغة 34. 5أب/ي فقط وان طاقة وحدة التكرير الفراغي المنتجة للمادة المغذية لوحدة التكسير هي 55 أب/ي.

2.ليس من الواضح اذا كانت وحدة هدرجة زيت الغاز بطاقة 40أب/ي هي لهدرجة زيت الغاز الفراغي المغذي لوحدة التكسير ام هي لهدرجة زيت الغاز الاعتيادي الناتج في عموم المصفى وهو الاغلب. الأفضل برأيي ان يكون هدرجة زيت الغاز الفراغي هو المهدرج لنضمن انخفاض المحتوى الكبريتي لكل من الغازولين وزيت الغاز المنتجين في وحدة التكسير وان معالجة زيت الغاز الاعتيادي في بقية المصفى مطلوبة بالتأكيد كاضافة لهذا المشروع الذي نحن بصدده.

3.هناك فروقات كبيرة في بيانات الوزارة وشركة مصافي الجنوب من جهة وبيانات شركة من جهة اخرى. فبالنسبة للانتاج تقول مصافي الجنوب ان انتاج الغازولين في عموم المصفى سيزداد 4200متر مكعب باليوم (م م/ي) بينما الشركة تقول 3000م م/ي. اما بالنسبة لزيت الغاز فالبصرة تقول ان الزيادة 1200م م/ي بينما الشركة تقول 5700م م/ي. وربما تكون هذه الاختلافات ناجمة عن الخلط بين انتاج المجمع الجديد و انتاج اصل المصفى.

4.اما مسألة العمالة فلا من صاحب خبرة يعرف ما يتحدث عنه الطرفان. فالبصرة تقول ان عدد الوظائف التي يحتاجها المشروع عند الانشاء 77الف بينما تقول الشركة سبعة الاف. اما الوظائف الدائمية فتقول البصرة سبعة الاف بينما الشركة تقول الفين. ولا داعي للتأكيد بان كل هذه الارقام مبالغ فيها الى حد يفقدها اية مصداقية. اذ لا عهد لنا بهكذا اعداد حتى في مشاريع تكرير اكبر من هذا المشروع بكثير. والمعلوم ان صناعة التكرير تتطلب وضائف بمستويات فنية عالية نسبيا ولكنها ليست مجالا لتوظيف اعداد كبيرة. وبرأيي المتواضع فان اعداد الوظائف الدائمية التي يتطلبها المشروع قد لايتجاوز 400شخص وخاصة ان المشروع يقام في مصفى كبير عامر بالفنيين والمهندسين والاداريين.

هذه النقاط تحتاج كلها الى توضيح ولكنها لا تؤثر على كون المشروع بالغ الاهمية وانه مهما كانت التغيرات او التحسينات التي يمكن ان نضيفها عليه فانه يبقى خطوة مهمة وقفزة الى الاعلى بالنسبة لتكنولوجيا مصافي العراق الى اليوم. هذا الحماس للمشروع يجعلنا ننتقد بشدة التأخر بالتوصل الى قرار احالته وفي نفس الوقت يدعونا للنظر بكلفته المعلنة التي تحتاج برأينا الى التوقف عندها فهي عالية جدا بجميع المقاييس حتى لو اعتمدنا الرقم المعلن من الشركة اليابانية JGC والبالغ 400 مليار ين اي مايعادل 3. 8مليار دولار بينما مصافي البصرة اعلنت عن كلفة 4مليار دولار تقريبا.

ليس عندنا مشروع مماثل قريب العهد لنتمكن من مقارنة اسعار الاحالة لذا سنلجأ الى المقارنة بمشروع تكرير معروف مع الاخذ بنظر الاعتبار الفرق الناجم عن درجة التعقيد التي تقاس بمقارنتها بتعقيد وحدة التكرير الجوي المساوية لواحد بينما وحدة التكرير الفراغي اثنين وهدرجة زيت الغاز ثلاثة و وحدة التكسير 7. 2كونها معقدة جدا بالمقارنة. لذا لو كانت الكلفة الرأسمالية لانشاء وحدة تكرير بطاقة 70أب/ي 100مليون دولار فان كلفة وحدة تكسير بنفس السعة ستكون 720مليون دولار وهكذا. يوضح الجدول حسابات التعقيد لمشروع تطوير مصفى البصرة والذي يتبين منه ان المشروع قيد البحث في تعقيد يساوي 6.) 8343سنقربها الى (7مقارنة بمعامل تعقيد وحدة تكرير جوي بطاقة 70أب/ي. اي ان كلفة وحدات المشروع ستكون مساوية سبعة مرات لكلفة وحدة تكرير جوي بطاقة 70أب/ي.

في 2009انشأت شركة جيكية في مصفى الدورة وحدة تكرير جوي بطاقة 70أب/ي بكلفة 54مليون دولار دون الاعمال المدنية التي قامت بها شركة عراقية بكلفة 2مليون دولار وان هناك كلف بسيطة اخرى ربما لم تصل الى مليون دولار لربط الوحدة الجديدة بعموم المصفى والاستفادة من كافة الخدمات والخزانات المتوفرة اصلا. وبافتراض معدل تضخم سنوي 3 بالمئة من 2009الى 12) 2020سنة) فان التضخم الكلي 43 بالمئة تقريبا اي ان مشروع الدورة لو انشأ اليوم لكلف 81. 3مليون دولار. وعلى هذا الاساس ستكون كلفة وحدات مشروع تطوير مصفى البصرة 569. 1مليون دولار 3*7.81.

ولنفترض ان المشروع في البصرة لم يستفد ابدا من اية خدمات وخزانات وشبكة ارتباطات قائمة اصلا لذا يجب اضافة هذه الكلف الى كلفة الوحدات اعلاه. ان كلفة الوحدات الانتاجية في مشاريع التكرير تقدر 40 الى 45 بالمئة من كلفة المشروع الكلية وان كلفة الخدمات والخزانات وغيرها تقدر 55 الى 60 بالمئة من الكلفة الكلية. ولنفترض هنا ان الوحدات 40 بالمئة وان الاخرى 60 بالمئة لنضمن اعلى تقدير. فعلى هذا الاساس تكون كلفة مشروع تطوير مصفى البصرة 423.1 مليار دولار مقارنة بسعر الاحالة 8.3 مليار دولار.

في السنوات الخمس الماضية قامت الكويت باحالة مصفى الزور بطاقة 615 أب/ي وبدرجة تعقيد عالية بكلفة 16 مليار دولار بما في ذلك مستودعا كبيرا ومرفأ لتصدير المنتجات وخطوط انابيب ترتبط بالمصفى. وفي السعودية كلف مصفى في ينبع بالمشاركة مع ساينوبيك الصينية واخر في جبيل بالمشاركة مع توتال الفرنسية وكل منهما بطاقة 400 أب/ي ودرجة تعقيد عالية بكلفة 10 مليار دولار لكل منهما. فأين هذه الكلف من كلفة مشروع تطوير مصفى البصرة متواضع الطاقة بالمقارنة حتى لو كان بنفس التعقيد؟

هل يمكن ان تكون هذه التقديرات على خطأ بمقدار 167 بالمئة ?ابدا. ولو كانت كذلك سأكون ممتنا للتصحيح من اي جهة كانت. ×رئيس المؤسسة العامة لتصفية النفط وصناعة الغاز 1980-1986. رئيس دائرة دراسات الطاقة في سكرتارية (اوبك) 1994-1986.

مصفى البصرة